بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الدينَ الإسلاميَّ الحنيف بتوجيهاته السَّديدة وإرشاداتِه الحَميدة صانَ المرأةَ المُسلمة، وحفظَ لها شَرفها وكَرامتها وتكفَّل لها بعزِّها وسعادتها، وهيَّأَ لها أسباب العيش الهنيء بعيداً عن مواطن الرِيَبِ والفتن والشرِّ والفساد.

وهذا كلُّه من رحمةِ الله جلّ وعلا بعباده حيثُ أنزل لهم شريعَته ناصحةً لهم ومُصلحةً لفسادهم ومقوِّمةً لاعوجاجهم ومتكفِّلةً بسعادتِهم؛ ومن ذلك ما شرَعَهُ الله تبارك وتعالى من التَّدابير العظيمة والإجراءات القويمة التي تقطع دابرَ الفتنة بين الرِّجال والنِّساء، وتُعِينُ على اجتنَاب المُوبقات والبُعد عن الفواحِش المُهلكَات رَحمةً منه بهم وصِيانةً لأعراضِهم وحِمايةً لهُم من خِزي الدُّنيا وعَذاب الآخرة.

والمرأةُ المُسلمة تعيش في كَنَف الإسلام وفي ضوء توجيهاته وآدابه العِظام عيشةً هنيئةً مِلؤُها السَّعادة والعزُّ والطُّمأنينةُ والرِّفعةُ في الدُّنيا والآخرة، شِعارُها السِّتر والعفَاف، ودِثارُها الطّهر والزَّكاء، ورَايتُها إشَاعة الأدَب وتثبيت الأخلاق، وغايتها صِيانة الشَّرف وحماية الفَضيلة، وستبقى المرأةُ المسلمة رفيعة الجانب، عزيزة المنال، صيِّنة الأخلاق مَا دَامَتْ مُتمسِّكةً بدينها، محافظةً على أوامر ربِّها، مطيعةً لنبيِّها رسول الله ﷺ، مُسلِمةً وجهَها لله، مُذعنةً لشرعِه وحُكمه، قائمةً بحُقوق الإسلام وواجباته وآدابه العِظام بكلِّ راحة وثقة واطمئنان غير ملتفتة إلى الهَمَل من النَّاس من دُعاة الفَاحشة والفتنة؛ لتنالَ بذلك السَّعادة والرَّاحة في الدّنيا والآخرة وتنال الثَّواب العظيم والأجر الجزيل يوم لقاء الله تبارك وتعالى.

وقد جاءَ في الإسلام ما يدلّ على أنَّ الفتنةَ بالنِّساء إذا وقعَت يترَتَّبُ عليها من المفَاسد والمضَار ما لا يُدرَكُ مَداه ولا تُحمَد عُقباه، ولهذا خافَها النبيُّ ﷺ على أمّتِه خوفًا عظيمًا، وحذَّر -صلوات الله وسلامه عليه- كثيراً من مغبَّتِها وسُوء عاقبتها نُصحًا للأمَّة ومعذرةً في بيان دين الله تبارك وتعالى، ولقَد كان عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مُعَلِّمًا أمينًا وناصحًا مشفقًا، فما ترك خيرًا إلاَّ دلَّ الأمّة عليه ولا شرّاً إلاَّ حذّرها منه.

روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(1)، وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»(2).

والأحاديث عن نبينا - صلوات الله وسلامه عليه - كثيرةٌ جدًا في هذا الباب العظيم؛ صيانةً للمُجتمع والأمَّة، ومُحافظة على المَرأة ورعَايةً لها، وهذه الأحاديث وغيرها مما جاء عن رسُول الله ﷺ تُعَدُّ بحقٍّ صمام أمان للمرأة ولبيتها ولمجتمعها بأسره من أن تَحُلَّ به الرَّذيلة أو أن ينتَشِرَ فيه الشرُّ والفساد، فإنَّ المرأة متى تمسَّكت بتعاليم الإسلام سَعدت في الدُّنيا والآخرة، وسَاعدت في بنَاء مُجتمَع قَويٍّ مُتماسِكٍ نَزيهٍ مَليءٍ بالطّهر والعفَاف، وإن تخلَّت عن هذه التَّعاليم تردَّت في مهاوي الرَّذيلة وسقَطت في حمأة الفساد وفقدَت كرامتها ومكانتها ومنزلتها الرَّفيعة، فإنَّها إنْ تلوَّثت بالرَّذيلة جَلَبَت العار والشّنار لنفسها وأهلها وقرابتها، ونكَّست رُؤوسَهم وحطَّت من أقدارهم بين النَّاس، وإن حملت من ذلك فقتلت ولدَها: جمعَت بين القتل والزِّنا، وإن أدخلَته على زوجها أو أهلها أدخلَت عليهم أجنبيًا ليس مِنهم، يخلو بهم ويرثهم ويُنسَب إليهم وليس منهم، إلى غير ذلك من المفاسد.

ومن يتأمَّل التاريخ على طُول مداه يجد أنَّ من أكبر أسباب انهيار الحضارات وتفكّك المُجتمعات وتحلّل الأخلاق وفساد القيَم وفشوِّ الجرائم هو تبرُّج المَرأة، ومُخالطتها للرِّجال، ومُبالغتُها في الزِّينة والاختِلاط، وخَلوتُها مع الأجانب، وارتيادُها للمنتديات والمجالس العامَّة وهي في أتمِّ زينة وأبهى تجمُّل.

(1) صحيح البخاري (5096)، ومسلم (2740).
(2) صحيح مسلم (2742).

قال العلاَّمة ابن القيم رحمه الله: «ولا ريبَ أنَّ تمكِين النِّساء من اختلاطهنّ بالرجال أصلُ كلِّ بليةٍ وشر، وهو من أعظم أسبَاب نُزول العُقوبات العامَّة، كما أنَّه من أعظم أسبَاب فسَاد أمُور العامَّة والخاصَّة، واختلاطُ الرجال بالنساء سببٌ لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب المَوت العام والطواعين المتصلة»(3) انتهى كلامه رحمه الله.

والإسلام لم يفرض على المرأة الحجاب ولم يمنعها من تلك الأمور إلاَّ ليصونها عن الابتذال، وليحميَها من التعرُّض للريبة والفُحش، وليمنعَها من الوُقوع في الجريمة والفساد، وليكسوَها بذلك حُلَّة التقوى والطهارة والعفاف، وسدَّ بذلك كلَّ ذريعةٍ تفضي إلى الفاحشة، يقول الله تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الأحزاب:33]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب:53]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ الآية [النور:31]، ويقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب:59]، وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب:32].

(3) الطرق الحكمية (ص239).

وروى الترمذي في جامعه عن النبي ﷺ أنه قال: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»[4]، ومعنى «اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ» أي جعلها غرضًا له ليُهَيِّج من خلالها الفسادَ والشهوة.

وعن أم حُمَيد الساعدية رضي الله عنها أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ، قَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِي، وَصَلَاتُكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكِ فِي دَارِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ، وَصَلَاتُكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِي»[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا»[6].

كل ذلك حفظًا للمرأة من الاختلاط بالرجال ومزاحمتهم؛ وهذا في حال العبادة والصلاة التي يكون فيها المسلم أو المسلمة أبعدَ ما يكون عن وسوسة الشيطان وإغوائه، فكيف إذاً بالأمر في الأسواق والأماكن العامة والمنتديات!! ولمَّا دخلت على عائشة رضي الله عنها مولاتُها وقالت لها: «يا أم المؤمنين طُفتُ بالبيت سبعًا واستلمت الركن مرتين أو ثلاثا»، قالت عائشة رضي الله عنها: «لا آجرَك الله، لا آجرك الله، تُدافِعين الرِّجال!! ألا كبَّرتِ ومَررتِ»[7]؛ قالت لها ذلك مع أنها في أشرف مكانٍ وخيرِ بُقعة، مكان طاعة جوارَ الكعبة؛ فكيف الأمر بمن تُزاحِمُ الرِّجال في الأسواق والأماكن العامة والمنتديات وهي في كامل زينتها وأجمل حليتها وأبهى تعطرها!!

---

(4) رواه الترمذي(1173) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي(936). (5) رواه أحمد في مسنده (27090)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (340). (6) صحيح مسلم (440). (7) مسند الشافعي (605)، والسنن الكبرى للبيهقي (9535).

تنبيه: وثمةَ أصلٌ عظيمٌ لابد من التنبيه عليه في هذا المقام ألا وهو: أنَّ أحكام الشرع المتعلقة بالمرأة أو غيرها محكمةٌ غاية الإحكام متقنةٌ غاية الإتقان لا نقص فيها ولا خلل ولا ظلم فيها ولا زلل، كيف وهي أحكام خير الحاكِمين وتنزيل رب العالمين!! الحكيمُ في تدبيره، البصيرُ بعباده، العليم بما فيه سعادتهم وفلاحهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة، ولهذا فإنَّ من أعظم العُدوان وأشد الإثم والهوان أن يقال في شيء من أحكام الله المتعلقة بالمرأة أو غيرها أن فيها ظلمًا أو هضمًا أو إجحافًا أو زللاً، ومن قال ذلك أو شيئًا منه فما قدر ربَّه حقَّ قدره ولا وقَّره حقَّ توقيره، والله جلّ وعلا يقول: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣﴾ [نوح:١٣]، أي لا تعاملونه معاملة من توقرونه. والتوقير: التعظيم؛ ومن توقيره سبحانه أن تُلتزَم أحكامه وتُطاع أوامره ويُعتقد أنَّ فيها السَّلامة والكمال والرِّفعة، ومن اعتقد فيها خلاف ذلك فما أبعده عن الوقار وما أجدره في الدنيا والآخرة بالخزي والعار.

اللهم اشرح صدورنا للالتزام بشرعك، والتمسُّك بدينك، وجنِّبنا اللهم الفتن كلها ما ظهر منها وما بطن، اللهم أصلح نساء المسلمين وبناتهم، اللهم وفقهن لما تحب وترضى، اللهم جنِّبهن مواطن الريبة والزلل واهدِهن سواء السبيل، اللهم وجنِّبهن دعاة الشر والفساد يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، اللهم آمن روعاتنا واحفظ عوراتنا، اللهم واحفظنا من بين أيدينا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن خلفنا، اللهم إنا إليك نلجأ وبك نستغيث أن تحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا يا ذا الجلال والإكرام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ» [صحيح الجامع:660]

فِتْنَةُ النِّسَاءِ

وضَرَرُ

الاخْتِلَاطِ

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

العلم الصحيح
الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح